الباب الأول

العلاقة بين إيران وأمريكا

لمحة تاريخية عن العلاقة بين أمريكا وإيران

إن التاريخ الفارسى قديم جداً يعود إلى ما قبل التاريخ أما الولايات المتحدة فلم يتعدى عمرها المائتى عام بكثير لذلك فان العلاقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية لم يبدأ إلا عندما بعث الشاه الفارسى ناصر الدين شاه أول سفير لفارس ميرزا أبو الحسن شيرازي إلى واشنطن في عام١٨٥٦وفي عام ١٨٨٣ كان صمويل بنجامين أول مبعوث دبلوماسي رسمي للولايات المتحدة في إيران وتم الإعلان عن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين رسميا في عام ١٩٤٤ولم تكن العلاقات بين البلدين على قدر كبير من الأهمية حتى فترة الحرب الباردة فيما بعد الحرب العالمية الثانية وبدء عمليات تصدير البترول من الخليج العربي وقد شهدت العلاقات العديد من التوترات بداية من تعاون الحكومة الأمريكية مع شاه رضا بهلوي وفي فترة الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

طبيعة العلاقات الإيرانية الأميركية

إن هناك فكرة خادعة تنتشر في واشنطن على الأقل بين أوساط محددة،وهي أنه عبر الضغط والتخويف يستطيعون أن يدفعوا بسياساتهم قدماً ليس مع إيران فقط ولكن مع بقية دول العالم أيضاً، وما لم يتم تصحيح هذه الرؤية الخاطئة فإن الولايات المتحدة ستلقى المزيد من

المتاعب مع باقي دول المنطقة وكذلك مع المجتمع الدولي، لأن الشعوب والدول لن ترد بشكل إيجابي على هذه التهديدات وعلى الأرجح ستقاومها، فعلى الولايات المتحدة أن تسلك سلوكاً أكثر عقلانية وتبدأ التعامل مع بقية الدول بما فيها إيران على أساس الاحترام المتبادل، وعندما تتوقف هذه السياسة ستكون هناك إمكانية لمناقشة القضايا المشتركة، أما إذا بقيت هذه السياسية فسنرى المزيد من التوتر فالسلوك المنطقي يعتمد على الحقائق في المنطقة أكثر من اعتماده على خلق كبش فداء لأسباب مختلفة تقف وراء أغلبها سلوكيات ومواقف الولايات المتحدة في المنطقة، كما أن السلوك المنطقي يتطلب الالتزام بالاحترام المتبادل والاعتراف بهذه الحقائق واحترامها والتعامل معها بما تستحق، بدلاً من النظر فقط إلى أصوات الناخبين داخل الولايات المتحدة وأتمنى أن يتم تجنُّب التصادم بين الطرفين، وإيران بالتأكيد لا تريد المواجهة أو انتهاج سياسة تقود إلى المواجهة، في الوقت نفسه هى غير مستعدة للخضوع لهذه الضغوط وستظل نقاومها، وإذا رأينا أن هناك نيَّة لانتهاج طريق الاحترام المتبادل فإنها سنتجاوب على هذا الأساس.

وهناك مشاعر قلق من سلوكيات إيرانية محددة،والإيرانيون أيضاً قلقون من سلوكيات كثيرة تنتهجها الولايات المتحدة سواءٌ حيال إيران أو دول أخرى في المنطقة ويجب مناقشتها على الملأ، مرةً أخرى فإن

إشاعة جو من الاحترام المتبادل أفضل من انتهاج سياسة تستخف بالحقائق، سياسة تحاول أن تتوجه إلى الناخب الداخلي بدلاً من أن تستند إلى الحقائق الموضوعية المجرَّدة فالاتهامات الموجَّهة لإيران ليست جديدة، هذه الاتهامات قائمة منذ زمن طويل وقد ردت إيران عليها، في الوقت نفسه فهى على يقين من أن هناك أقلية في الولايات المتحدة لديها أجندات خاصة بها، واحدة داخلية وأخرى عالمية، وأجندة إقليمية وهي أجندة خطيرة جداً، ولا يمكن أن تقود سوى إلى المزيد من التطرف في المنطقة والمزيد من عدم الاستقرار،وهذان الأمران كلاهما ليس مصلحة دول المنطقة،يجب أن يسود المنطقة تسويات تقوم على التعاون بين دول المنطقة والتشارك واحترام دور القانون واحترام مخاوف وهواجس مختلف الشركاء في المنطقة،وهكذا نستطيع التوصل إلى نوع من التسوية في المنطقة لتجنُّب الأحقاد والاعتداءات التي شاهدناها طوال العقدين الماضيين تأتي من العراق.

وبشكل عام فإن عدم قدرة الولايات المتحدة على تمييز الحقائق في المنطقة، وعدم قدرتها على إدراك حقيقة أن دول المنطقة لها مخاوفها تجاه سياسة الولايات المتحدة في تقديرها لأهمية المشاكل كمشكلة فلسطين ومشكلة الاحتلال الأجنبي سواء كان في فلسطين أو في العراق، كل ذلك يوفّر التربة الخصبة لنمو العناصر المتطرفة ونجاحها في كسب

المزيد من المؤيدين والأتباع الجدد، هذه مشاكل جدية بالنسبة لنا، هناك مشكلة أخرى، وهي أن الولايات المتحدة تحمي منظمة إرهابية معترفاً بها من قِبل الولايات المتحدة نفسها، وهي سياسة تُضعف الجهود الدولية لمحاربة الإرهاب ومن المثير للاهتمام أن ترى كيف أن حكومة تدَّعي قيادة حملة عالمية ضد الإرهاب تتعامل في الوقت نفسه مع منظمات إرهابية، فهذا الواقع يجعلنا نطرح تساؤلات حول هذه المزاعم ونوضح حقيقة أن الولايات المتحدة كانت تتبنى دائماً معايير مزدوجة، فهي تستخدم هذه المعايير في مسألة أسلحة الدمار الشامل، إذ أن إسرائيل تمتلك أكبر ترسانة لأسلحة الدمار الشامل وتدرك دول المنطقة أن إسرائيل من أهم أسباب عدم الاستقرار والتهديد لأمن هذه الدول، والحقيقة أن قدرات إسرائيل النووية لم تتحقق إلا بفضل الدعم الأميركي المؤثر لكن عندما تتحدث عن قضية الإرهاب فالولايات المتحدة بنفس المعايير توجِّه إلى إيران سيلاً من الاتهامات بشأن القضية عينها، تقول أن إيران توفر الملاذ لأعضاء القاعدة،وآخر تلك الاتهامات يتعلق بالزرقاوي الذي وصفه وزير الخارجية كولن باول في مجلس الأمن بأنه حلقة وصل بين العراق والإرهاب الدولي، وتقول الولايات المتحدة إنه موجود حالياً في إيران.

قامت إيران في الماضي بتسليم عناصر مشتبه فيهم إما إلى دولهم الأصلية أو إلى الدول الأوروبية التي يقيمون فيها،وهذه السياسة ستستمر في ظل الظروف العادية، وفي الحقيقة فإن ضغوط الولايات المتحدة تعوق هذه السياسة بدل أن تساعدها، إذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تتعامل مع هذه القضايا بما تستحقه من جدية فعليها أن تزيل المعوِّقات من طريق سياسة التعاون في مناطق معينة بمحاربة الإرهاب، فإيران حافظت على التزاماتها بخصوص محاربة الإرهاب، والإرهابيون الذين تسللوا إلى أراضيها تم أسرهم وسجنهم ويجري استجوابهم، وأحياناً يتم تسليمهم والمعلومات التى اقروا بها إلى حكومات صديقة، وستستمر في ذلك، إذن هذه هي حدود التزامات في ظل القانون الدولي وقرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣، وحقيقة أن الولايات المتحدة قد أساءت التصرُّف بتعاملها مع منظمات إرهابية لم تمنع من الاستمرار في الالتزام بتعهدات إيران لقد كانت إيران ضحية لاستخدام العراق أسلحة الدمار الشامل، ولسوء الحظ فإنهم عندما استعملوا هذه الأسلحة كانوا يتمتعون بدعم الولايات المتحدة.

ولا يمكن أن يكون هناك التقاء مصالح مع حكومة تساعد مرة بلداً يستخدم أسلحة دمار شامل ومرة أخرى تذهب على عكس إرادة المجتمع الدولي لشن حرب على البلد نفسه، هناك يقين من أن القلق من وجود

أسلحة دمار شامل في العراق يمكن أن يُحلَّ عن طريق لجنة أنموفيك، خاصة وأن الأمم المتحدة قد سمحت لها باستئناف عملها، وقد كان عملاً فعَّالاً، فعلى الرغم من القلق من استخدام أسلحة كيميائية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل فإنها لم تُستخدم في الحرب الأخيرة

تاريخ الخلاف الأمريكى الإيرانى

بدأت أمريكا تتدخل فى الشأن الداخلى الإيرانى وظل هذا التدخل حتى أطاح بحكومة مصدق عام ١٩٥٣، ويعتبر أحد المكونات الرئيسية للذاكرة السياسية للنظام الإيراني ،والذي لم يستبعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية في أية لحظة بتكرار ذلك الدور نفسه، وقد كان ذلك في الواقع أحد الأسباب المهمة وراء الإجراءات القمعية التي اتخذها النظام في تلك الفترة من أجل إحكام السيطرة على البلاد بما لا يسمح بتكرار وقائع ١٩٥٣، وهو ما ذكره الرئيس خاتمي نفسه في معرض تقويمه النقدي لأداء الثورة الإيرانية منذ قيامها وقدّساعد على ترسيخ هذا التوجس الإيراني إزاء الولايات المتحدة قيام الأخيرة بدعم العراق عندما اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، ثم قيامها بالتدخل في ١٩٨٨، والذي أسفر عن ضرب عدد من المنشآت البترولية الإيرانية، ثم إسقاط الطائرة المدنية الإيرانية التي راح ضحيتها ٢٩٠ شخصًا وكان هذا الموقف الأمريكي هو أحد الأسباب المباشرة وراء قرار الخميني الصعب بإنهاء

الحرب مع العراق ؛ حيث اعتبر الموقف الأمريكي بمثابة إنذار لإيران بمزيد من التدخل القوي بجانب العراق وعلى الجانب الأمريكي، فقد جاء غياب الشاه ليكشف ظهر الولايات المتحدة في منطقة الخليج، الأمر الذي جعلها تغير سياستها تجاه العراق نحو مزيد من دعم النظام البعثي، كما تجلى في الحرب مع إيران، ومثلما حملت الذاكرة الإيرانية واقعة ١٩٥٣ظلت واقعة احتجاز الرهائن الأمريكيين - التي أنهت حكم الرئيس كارتر - ماثلة في الذاكرة الأمريكية، والتي كرس منها في الواقع دعم إيران لعدد من التنظيمات الإسلامية؛ سواء في لبنان أو فلسطين ومن المفارقات الجديرة بالتأمل، أن ضلوع إدارة ريجان في صفقة سلاح مع إيران – والتي عرفت لاحقاً بفضيحة إيران كونترا – قد أضافت إلى مخزون الذاكرة الأمريكي عنصراً إضافيًا ؛ حيث صارت إيران مسئولة عن طرد رئيس من البيت الأبيض جيمي كارتر، وتشويه آخر بفضيحة سياسية كبيرة لرونالد ريجان، وكأنه انتقام إيراني لطرد مصدق من الحكم عام ١٩٥٣وزاد انهيار الإتحاد السوفيتي من التوجس الأمريكي؛ حيث صارت إيران رمزًا للأصولية الإسلامية التي رشحتها أمريكا وقتها لتكون العدو الجديد وفي ١٩٩٣ أعلنت الولايات المتحدة سياسة الاحتواء المزدوج، والتي لم تكن في الواقع تأتي بجديد في جوهر سياسة الولايات المتحدة التي طالما سعت تاريخيًا إلى الموازنة بين قوة كل من إيران والعراق في المنطقة، كل ما في الأمر أن هذه السياسة انهارت

بقيام الثورة الإيرانية، فركّزت أمريكا على دعم العراق بعد أن كانت تدعم إيران، ثم انتهت حرب الخليج الثانية ؛ فصار الجديد في تلك السياسة هو السعي لإضعاف الطرفين معًا وفي أوج حملة انتخابية رئاسية وتشريعية في أمريكا، صدر قانون داماتو ١٩٩٦والذي سبقه في الواقع أمر تنفيذي لا يقل خطورة في مداه كان الرئيس كلينتون قد أصدره في عام ١٩٩٥واختلفت صورة العلاقات الإيرانية الأمريكية في ١٩٩٧؛ فقد فاز محمد خاتمي بأغلبية ٧٠% في انتخابات حرة أحرجت الولايات المتحدة التي ظل خطابها الرسمي يستخدم مفردات تتهم إيران بكل الشرور، بل وتتناولها بدرجة عالية من الاستهانة والامتهان أيضًا، ومن ثمّ لم يعد من الممكن لأمريكا الرسمية أن تظل تستخدم مثل تلك المفردات، خصوصًا أن الجالية الإيرانية كانت قد بدأت تنظم نفسها بشكل أفضل، وتستقطب عددًا من رموز النخبة السياسية الأمريكية؛ سعيًا لإحداث انفراجة في السياسية الإيرانية فبدأت بعض الأصوات الرشيدة تعلو داخل المجتمع الأمريكي نفسه، تطالب بإعادة النظر في مجمل السياسة الأمريكية تجاه إيران، خصوصًا بعد دعوة الرئيس خاتمي عبر شبكة سي إن إن للحوار الحضاري بين الشعبيين، وقد تبع ذلك تصريح لأولبرايت يحمل شبه اعتراف بدور أمريكا ضد حكومة مصدق، وإن لم يرق إلى الاعتذار الرسمي وقد تزامن ذلك مع تصاعد نبرة التذمر لدى حلفاء أمريكا الأوروبيين إزاء العقوبات التي يفرضها قانون داماتو على الشركات

الأوروبية، فضلا عن مطالبة منظمات رجال الأعمال الأمريكية برفع الحظر الذي أضر بمصالحها بالدرجة الأولى وقد ظلت كل هذه العوامل تتفاعل بين شد وجذب، خصوصًا مع الضغوط القوية التي مارسها اللوبي الصهيوني في واشنطن على إدارة كلينتون والكونجرس؛لوقف أية محاولة لتحسين العلاقات مع إيران وتتمثل الإيجابية الرئيسية في بدء تحسين العلاقات الإيرانية الأمريكية، في أن الساحة الأمريكية صارت تحفل بقوى مختلفة لها مصلحة في تحسين العلاقات مع إيران، بعد أن كان اللوبي اليهودي هو وحده المهيمن على صناعة هذا القرار وقد تبدت نتائج ذلك التحول فعلاً في رفع الحظر على استيراد بعض السلع الإيرانية، مثل الفستق والسجاد، والذي تبعه قرار إيراني باستيراد الأدوية الأمريكية، فضلا عن إعفاء عدد من الشركات ماليزية وفرنسية وروسية من عقوبات قانون داماتو وفي قمة الخلافات السياسية الظاهرية بين الولايات المتحدة وإيران بشأن ملف إيران النووي في خلال ٢٠٠٨ اشترت إيران مليون طن قمح من الولايات المتحدة في العام نفسه وشكل وصول الرئيس الأمريكي بوش للسلطة نقطة تحول مهمة في اتجاه سياسة العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وإيران ؛ تنبع فى الأساس من رؤية الإدارة الجديدة لدور أمريكا في العالم وأهدافها الإستراتيجية معًا.

ومع وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة أظهرت بعض الأصوات الإيرانية قلقاً بالغاً من التصريحات الأمريكية التي وردت على لسان الرئيس بوش وعدد من أركان إدارته والتي عدت أن العالم قد غدا الآن منقسماً بين معسكرين مع التحالف ضد الإرهاب، أو مع الإرهاب وبعبارة أخرى من ليس مع أمريكا والتحالف فإنه مع الإرهاب ومن هنا عمدت إيران إلى التعبير الواضح على أكثر من مستوى عن إدانتها للهجمات على الولايات المتحدة، ورفضها للإرهاب بكل صورة وأشكاله، ففي كلمة لمرشد الثورة خامنئي أمام أهالي أصفهان في ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١ قال إننا نشجب الإرهاب بكل أشكاله ولعل الملاحظة التي لابد من ذكرها في هذا الصدد، أن الساحة السياسية الإيرانية لم تشهد انقساما في الرأي بين الإصلاحيين والمحافظين كالعادة حيث أدركت طهران أن الولايات المتحدة جادة في تهديداتها خاصة بالنظر إلى أنها تضع إيران على قائمة الدول المتهمة برعاية الإرهاب الدولي وفي حرب الولايات المتحدة في أفغانستان في إطار ما تسمية بحربها على الإرهاب، كانت واشنطن في حاجة إلى مساعدة إيران في المراحل الأولى في حربها في أفغانستان، ولذلك سعت إلى حوار معها بكل الطرق وخاصة على المستوى الأمني، ولقد لعبت بريطانيا دور الوسيط في ذلك من خلال زيارة وزير خارجيتها جاك سترو لطهران وبالرغم من الإدانة الإيرانية للغزو الأمريكي لأفغانستان وذلك

على لسان المرشد الأعلى خامنئي أننا نشجب الإرهاب بكل أشكاله ونعارض الحملة الأمريكية على أفغانستان ونرفض الدخول في أي تحالف تقوده أمريكا منتقداً أولئك الذين يدعون إلى محادثات معها قائلاً وإن كانوا غير سيئي النية فإنهم غافلون عن أن هذه المحادثات تفي القبول بتحقيق المصالح الأمريكية وقامت إيران بتقديم الدعم الميداني للولايات المتحدة في حربها ضد طالبان ومنظمة القاعدة، حيث وافقت في أكتوبر ٢٠٠١ على المساهمة في إنقاذ أي قوات أمريكية تتعرض لمشاكل في المنطقة، كما سمحت للولايات المتحدة باستخدام أحد موانيها لشحن القمح إلى مناطق الحرب في أفغانستان، وشاركت في الدعم العسكري لقوات التحالف الشمالي حتى سيطرت على كابول.

لكن هذا التقارب سرعان ما تلاشى، وذلك في ضوء كثرة الخلافات الأمريكية الإيرانية سواء ما هو متعلق باستمرار الحظر الاقتصادي الأمريكي الشامل أو الخلافات الإقليمية نتيجة تواجد القوات الأمريكية في الخليج وتواجدها الحالي في أفغانستان وبعض دول آسيا الوسطى إضافة إلى عداء إيران لإسرائيل ودعمها حركات المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي في مقابل الانحياز الأمريكي لإسرائيل من جهة أخرى ومما عمق من هذه الخلافات، هو تصنيف جورج بوش في ٢٩ يناير ٢٠٠٢ كل من إيران والعراق وكوريا الشمالية دولاً إرهابية تهدد السلام العالمي

وأنها تسعي لامتلاك أسلحة دمار شامل وتشكل خطراً تزداد حدته ووصف الدول الثلاث بأنها محور للشر يسلح نفسه لتهديد سلام العالم وفي الأول من فبراير قال بوش أن تصريحاته المتشددة ضد كوريا الشمالية وإيران لا تعني الإشارة إلى التخلي عن الحوار السلمي مع البلدين لكن قال إن كل الخيارات على المائدة في شأن كيفية جعل أمريكا وحلفائنا أكثر أمناً وفي ٥ فبراير ٢٠٠٢، أعلن وزير الخارجية الأمريكي أن وصف دول بأنها تشكل محور الشر لا يعني أن الولايات المتحدة تنوي اجتياحها وأوضح أمام لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ أننا على استعداد لبدء حوار ونريد العمل مع أصدقائنا وحلفائنا في العالم للتعامل مع هذا النوع من الأنظمة وفرق باول بين إيران وكوريا الشمالية اللتين تريد واشنطن مواصلة السعي إلى الحوار معهما والعراق الذي تؤيد واشنطن مواصلة سياسة العقوبات حياله مع الأمم المتحدة كما تعرضت إيران لضغوط من قبل الولايات المتحدة وذلك في قمع أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي حيث سلمت الإدارة الأمريكية، عبر الوسطاء لائحة بأسماء عدد من الشخصيات الإسلامية المعروفة بمقاومتها للاحتلال الإسرائيلي في لبنان وفلسطين، لكن إيران رفضت عبر أعلى سلطات القرار فيها تقديم أي مساعدة كما استمرت هذه الضغوط من خلال إدراج حزب الله اللبناني على لائحة الإرهاب الثالثة

التي أصدرتها الإدارة الأمريكية نظراً للصلة الوثيقة المعروفة بين هذا الحزب وبين إيران.

وفي الحقيقة لا تمثل قضية المشروع النووي الإيراني لب الصراع الإقليمي بين أمريكا وإيران،فهذه القضية ثانوية نسبيا من وجهة نظر المصالح،الأمريكية بينما هي تحتل المرتبة الأولى من جانب إسرائيل ، فعلى الضد من القيمة الإعلامية أساسا لاستهداف إسرائيل بالصواريخ الإيرانية بعيدة المدى مثل شهاب – ٣ فإن تطور المقدرة الإيرانية على استهداف آبار النفط وأنابيب نقله ومصافي تكريره هي الأكثر خطورة من الناحية الإستراتيجية إن توسع صناعة الصواريخ الإيرانية بمساعدة كورية شمالية وصينية وربما روسية أو أوكرانية قد منح إيران قدرة هامة على استهداف هذه المواقع الهامة استراتيجيا بأعداد كبيرة نسبياً من الصواريخ التي لا تحتاج إلى زمن طويل لبلوغ هدفها مما يجعل اعتراضها أصعب من اعتراض تلك الصواريخ المصوبة نحو إسرائيل إن أداء منظومات اعتراض الصواريخ أرض – أرض قد تحسن بشكل ملحوظ كما أن جدوى هذه المنظومات في مواجهة هجمات بأعداد كبيرة من هذه الصواريخ قد تتراجع مع امتلاك إيران لأعداد كبيرة من تلك الصواريخ لقد عجزت منظومات الدفاع ضد الصواريخ الإسرائيلية في حرب ٢٠٠٦ في اعتراض صواريخ الكاتيوشا التي أطلقها مقاتلو حزب

الله والتي تعود تكنولوجياً إلى ستينيات القرن العشرين وهي نسخ روسية وإيرانية وسورية من الصواريخ التي تملكها وطورتها إيران

ومن المؤكد أن المسافة بين قواعد الصواريخ الإيرانية وأهدافها المحتملة أبعد من صواريخ حزب الله لكن من المؤكد أيضا أن المخزون الإيراني من صواريخ فجر – ٣ و ٥ و زلزال -١ و ٢ المصنعة محليا أكبر بكثير من ترسانة حزب الله إضافة إلى مخزون هام من صواريخ متطورة مضادة للسفن ، كانت إحداها تلك التي أصابت البارجة الإسرائيلية في حرب تموز عدا أن احتمال مشاركة المدفعية الثقيلة الإيرانية بعيدة المدى ضد هذه الأهداف سيجعل الدفاع عنها فاشلا بالكامل يضاف إلى ذلك التأثير الهائل لرد إيراني ولو محدود على أهداف نفطية خليجية أو على السفن أو ناقلات النفط التي تجتاز الخليج اقتصاديا و سياسيا في المواجهة الإيرانية الإسرائيلية يبقى حزب الله ، كما كان في المواجهة السورية الإسرائيلية في الماضي ، قوة مؤثرة وقادرة ، ومن هنا يأتي تزويده إيرانيا وسوريا بمعدات متطورة قادرة على إيقاع خسائر هامة بالجيش والعمق الإسرائيلي كما اتضح في حرب تموز لكن من المؤكد أيضا أن المواجهة الأمريكية الإيرانية لم تصل بعد حد القرار الإستراتيجي بتدمير الخصم وتحييد قوته بما يعنيه من استعداد لتحمل تبعات مواجهة مفتوحة هذا لخصوم أمريكا في لبنان وفلسطين وإلى حد ما في العراق لا يصل إلى درجة الحرب الكاملة،فقد أمكن عقد مصالحة

بين الخصمين المتصارعين في لبنان تقوم على دور رئيسي لحزب الله حليف إيران اللبناني في تحديد سياسات الحكومة،وعراقيا شهد الواقع تراجعا متواصلا اختياريا للقوى الشيعية التي تناصب الوجود والمشروع الأمريكي في العراق العداء واستمرار التعاون المبدئي بين المجلس الأعلى وحزب الدعوة المقربين أيضا من إيران مع الاحتلال الأمريكي أمريكيا فإن السيطرة شبه المطلقة على المنطقة ثابتة إلى حد كبير وآمنة من أي تحد جاد،ولا يبدو أن رغبة إيران فى تعزيز نفوذها الإقليمي يسير في اتجاه مواجهة مصيرية مع النفوذ الأمريكي المطلق ، لا يوجد تصدير للثورة اليوم خلافاً لما كان عليه الحال بعد نشوب الثورة الإيرانية وقبل اندلاع الحرب العراقية الإيرانية،ولا توجد حركة ثورية ناشطة تستهدف الأنظمة الموالية لأمريكا في المنطقة،على العكس تماما فالأحداث كلها تدور اليوم حول توترات طائفية تستخدمها إيران وحكومات الخليج ومصر لصالحها ، هذا الشكل من الصراع لا يتناقض مع مصالح الولايات المتحدة ما دام لم يبلغ حد الحرب الأهلية المفتوحة ، كما كان الوضع في العراق من قبل وحتى اليوم بدرجة مخففة ، فهذه التوترات توفر للولايات المتحدة إمكانيات كبيرة للتحكم فى الوضع وهي تناسب أيضا الأنظمة القائمة على ضفتي الخليج إذ يجعلها تبدو كممثلة حقيقية لشعوبها على الرغم من كل الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها وهي كلها أزمات جاد ، من إيران إلى السعودية إلى اليمن ، تتناول

شرعية النظام وتحالفاته الداخلية والإقليمية وخطابه عندما نتحدث عن الصراع أو المواجهة بين إيران وإسرائيل يجب أن لا نستبعد أمريكا عن حليفتها إسرائيل، إذ أن إسرائيل بمفردها عاجزة عن المواجهة أو توجيه ضربة قوية ومؤثرة إلى إيران ، ولكن هذا التحالف الاستراتيجي لن يتم هذه المرة إلا بشكل غير مباشر، من خلال دعم سياسي وإسناد عسكري لوجستي واستخباري وتشويش إلكتروني وقواعد انطلاق بحرية وبرية من القواعد الأمريكية في المنطقة، إضافة إلى استمرار الإمداد العسكري والمادي المتواصل، حيث تضع إسرائيل نفسها هذه المرة في المواجهة المباشرة مع إيران على غير عادتها في كل مرة عندما كانت أمريكا تشن الحروب المباشرة من أجل عيون إسرائيل وبقائها كما حدث في العراق وأفغانستان وغيرها.

التعاملات السرية بين طهران وتل أبيب وواشنطن

يعالج كتاب التحالف الغادر لمؤلفه تريتا بارسي العلاقة الثلاثية بين كل من إسرائيل، إيران وأمريكا لينفذ من خلالها إلى شرح الآلية التي تتواصل من خلالها حكومات الدول الثلاث وتصل من خلال الصفقات السريّة والتعاملات غير العلنية إلى تحقيق مصالحها على الرغم من الخطاب الإعلامي الاستهلاكي للعداء الظاهر فيما بينها ووفقا لبارسي

فانّ إدراك طبيعة العلاقة بين هذه المحاور الثلاث يستلزم فهما صحيحا لما يحمله النزاع الكلامي الشفوي الإعلامي، وقد نجح الكاتب من خلال الكتاب في تفسير هذا النزاع الكلامي ضمن إطار اللعبة السياسية التي تتّبعها هذه الأطراف الثلاث، ويعرض بارسي في تفسير العلاقة الثلاثية لوجهتي نظر متداخلتين في فحصه للموقف بينهم أولا الاختلاف بين الخطاب الاستهلاكي العام والشعبي أي ما يسمى الأيديولوجيا، وبين المحادثات والاتفاقات السريّة التي يجريها الأطراف الثلاث غالبا مع بعضهم البعض أي ما يمكن تسميه الجيو-ستراتيجيا وثانيا: يشير إلى الاختلافات في التصورات والتوجهات استنادا إلى المعطيات الجيو-ستراتيجية التي تعود إلى زمن معين ووقت معين ليكون الناتج محصلة في النهاية لوجهات النظر المتعارضة بين الأيديولوجية والجيو-ستراتيجية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ المحرّك الأساسي للأحداث يكمن في العامل الجيو-ستراتيجي وليس الأيديولوجي الذي يعتبر مجرّد وسيلة وبمعنى أبسط، يعتقد بارسي أنّ العلاقة بين المثلث الإسرائيلي- الإيراني – الأمريكي تقوم على المصالح و التنافس الإقليمي والجيو-استراتيجي وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات الحماسية...الخ واستنادا إلى الكتاب، وعلى عكس التفكير السائد، فإن إيران و إسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل. يشرح الكتاب هذه المقولة ويكشف الكثير من التعاملات الإيرانية –

الإسرائيلية السريّة التي تجري خلف الكواليس والتي لم يتم كشفها من قبل كما يؤّكد أنّ أحداً من الطرفين إسرائيل وإيران لم يستخدم أو يطبّق خطاباته النارية، فالخطابات في واد والتصرفات في واد آخر معاكس ووفقا لبارسي، فإنّ إيران الثيوقراطية ليست خصما لا عقلانيا للولايات المتّحدة وإسرائيل كما كان الحال بالنسبة للعراق بقيادة صدّام وأفغانستان بقيادة طالبان فطهران تعمد إلى تقليد اللاعقلانيين من خلال الشعارات والخطابات الاستهلاكية فهي تستخدم التصريحات الاستفزازية ولكنها لا تتصرف بناءاً عليها بأسلوب متهور وأرعن من شأنه أن يزعزع نظامها وعليه فيمكن توقع تحركات إيران وهي ضمن هذا المنظورلاتشكّل خطرا لا يمكن احتواؤه عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية فكلتا الدولتين تميلان إلى تقديم أنفسهما على أنّهما متفوقتين على جيرانهم العرب إذ ينظر العديد من الإيرانيين إلى أنّ جيرانهم العرب في الغرب والجنوب اقل منهم شأنا من الناحية الثقافية والتاريخية وفي مستوى دوني ويعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد في تحضّرهم و تمدّنهم ولولاه لما كان لهم شأن يذكر وفي المقابل، يرى الإسرائيليون أنّهم متفوقين على العرب بدليل أنّهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة، ويقول أحد المسئولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شي .

ويشير الكتاب إلى أننا إذا ما أمعنّا النظر في الوضع الجيو-سياسي الذي تعيشه كل من إيران وإسرائيل ضمن المحيط العربي، سنلاحظ أنهما يلتقيان أيضا حاليا في نظرية لا حرب، لا سلم الإسرائيليون لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم اقل منهم شأنا ولا يريدون أيضا خوض حروب طالما أنّ الوضع لصالحهم، لذلك فان نظرية لا حرب، لا سلم هي السائدة في المنظور الإسرائيلي وفي المقابل، فقد توصّل الإيرانيون إلى هذا المفهوم من قبل، واعتبروا أنّ العرب يريدون النيل منّهم والأهم من هذا كلّه، أنّ الطرفين يعتقدان أنّهما منفصلان عن المنطقة ثقافيا وسياسيا، فالإسرائيليين محاطين ببحر من العرب ودينيا محاطين بالمسلمين السنّة أما بالنسبة لإيران، فالأمر مشابه نسبيا عرقيا هم محاطين بمجموعة من الأعراق غالبها عربي خاصة إلى الجنوب والغرب، وطائفيا محاطين ببحر من المسلمين السنّة .

إيران وإسرائيل تتنافسان ضمن دائرة نفوذهما في العالم العربي وأنّ هذا التنافس طبيعي وليس وليد الثورة الإسلامية في إيران، بل كان موجوداً حتى إبان حقبة الشاه حليف إسرائيل فإيران تخشى أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها إقليميا بحيث تصبح معزولة، وفي المقابل فإنّ إسرائيل تخشى من الورقة الإسلامية التي تلعب بها إيران على الساحة العربية ضد إسرائيل.

إن السلام بين إسرائيل والعرب يضرب مصالح إيران الإستراتيجية في العمق في هذه المنطقة ويبعد الأطراف العربية عنها ولاسيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجيا ليس هذا فقط، بل إنّ التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي والقوات العسكرية وهو أمر لا تحبّذه طهران وأحد أسباب انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠ هو أنّ إسرائيل أرادت تقويض التأثير والتأثير الإيراني في عملية السلام من خلال تجريد حزب الله من شرعيته كمنظمة مقاومة بعد أن يكون الانسحاب الإسرائيلي قد تمّ من لبنان.

ويكشف الكتاب انّ اجتماعات سرية كثيرة عقدت بين ايران و اسرائيل في عواصم اوروبية اقترح فيها الايرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة ويكشف الكتاب من ضمن ما يكشف أيضا من وثائق و معلومات سرية جدا و موثقة فيه، أنّ المسئولين الرسميين الإيرانيين وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق عام ٢٠٠٣ عبر الاستجابة لما تحتاجه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين و تنتهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق عام ٢٠٠٣، كانت إيران تعمل على إعداد اقتراح جريء ومتكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساسا لعقد صفقة كبيرة مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي-الإيراني وتمّ إرسال العرض الإيراني أو الوثيقة السريّة إلى واشنطن ولقد عرض الاقتراح الإيراني السرّي مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمّت الموافقة على الصفقة الكبرى وهو يتناول عددا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، و محاربة القاعدة كما عرضت الوثيقة إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية-إيرانية بالتوازي للتفاوض على ثلاث مواضيع: أسلحة الدمار الشامل الإرهاب والأمن الإقليمي، التعاون الاقتصادي وهذه الورقة مجرّد ملخّص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلا كان قد علم به في عام ٢٠٠٣ عبر وسيط سويسري هو تيم جولدمان نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقّيه من السفارة السويسرية وتضمّنت الوثيقة السريّة الإيرانية لعام ٢٠٠٣

١- عرض إيران استخدام نفوذها في العراق لتحقيق الأمن والاستقرار، إنشاء مؤسسات ديمقراطية، وحكومة غير دينية- الوضوح الكامل لتوفير الاطمئنان والتأكيد على أنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل، والالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل ودون قيود -إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة والضغط عليها لإيقاف

عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل عام ١٩٦٧- التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني- قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢، أو ما يسمى طرح الدولتين والتي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود ١٩٦٧والمفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل فى استعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل كدولة شرعية لقد سبّب ذلك إحراجا كبيرا لجماعة المحافظين الجدد والصقور الذين كانوا يناورون على مسألة تدمير إيران لإسرائيل ومحوها عن الخريطة وينقل بارسي في كتابه أنّ الإدارة الأمريكية المتمثلة فى نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الاقتراح ورفضه على اعتبار أن الإدارة الأمريكية ترفض التحدّث إلى محور الشر بل إن هذه الإدارة قامت بتوبيخ الوسيط السويسري الذي قام بنقل الرسالة ويشير الكتاب أيضا إلى أنّ إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتّحدة لكن إسرائيل كانت تعطّل هذه المساعي دوما خوفا من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة ومن المفارقات الذي يذكرها الكاتب أيضا أنّ اللوبي الإسرائيلي في أمريكا كان من أوائل الذي نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينيات بأن لا تأخذ التصريحات والشعارات

الإيرانية المرفوعة بعين الاعتبار لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها في السياسة الإيرانية.

التحالف الإيراني الأمريكي .. أين العداء الحقيقي؟

في ظل الأحداث السياسية الحالية والتصعيدات الإيرانية والأمريكية والصهيونية حول التسلح النووي الإيراني والتصعيد الشيعي لا شك أن هذه الأحداث المتلاحقة تضعنا أمام سؤال بديهي وأساسي هل هناك حرب أمريكية إيرانية معلنة وتواطؤ في الخفاء لتحقيق مصالح مشتركة ؟ إذا كان كذلك إذاً فمن هو العدو ؟.

في العلاقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية شيء من عدم الوضوح يمارس بهمة في حين تبدو للناس إنها عداوات شديدة وقطيعة نهائية ففي ذروة أزمة رهائن السفارة الأمريكية في طهران، بدا الأمر وكأنه صدام حتمي بين الطرفين، بيد إن مفاوضات على مستوى عال كانت تجرى بينهما بقيادة علي رافسنجاني للفريق الإيراني، وقيادة جورج بوش الأب للفريق الأمريكي وأبرمت صفقة عجيبة مثيرة سرية مفادها الاتفاق على عدم إطلاق الرهائن في عهد الرئيس الأمريكي كارتر، وذلك حتى لا يفوز فريقه في الانتخابات الرئاسية التي كانت على وشك أن تجرى وبالفعل، حرم الرهائن الأمريكيون من الحرية حتى سقط

كارتر وفريقه، وفاز رونالد ريجان وفريقه، وعلى رأس هذا الفريق جورج بوش الأب الذي أصبح نائبا لريجان .

ويعلم الكثير من الناس تاريخ الفرس ونهجها تجاه الأمة العربية فتاريخ الفرس يبين تحالفاتهم مع الغرب لتحقيق مصالحهم السياسية منها تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية والذي يغيب عن الكثير مدى هذا التحالف الذي يبين ظاهر إيران وباطنها تجاه الإدارة الأمريكية التي صنعت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الخميني لتتخذ هذه الدولة غطاء ديني لتصل إلى أهداف سياسية تخدم المصالح الأمريكية والكيان الصهيوني.

ويظهر هذا التحالف واضحا جليا في خطابات السيد حسن نصر الله وخصوصا في خطابه الأخير حيث تجاهل الشراكة الإيرانية مع المشروع الأمريكي في العراق وفي أفغانستان ، فتحدث لساعات دون أن يذكر في خطابه كلمة واحدة عن أفغانستان ، رغم أنها تقاوم المشروع الأمريكي ، ولكن لأنها أيضا تقاوم الشريك الخفي للأمريكيين وهم الإيرانيون ، لذلك تجاهلها في خطاباته مع العلم إنها دولة إسلامية ملاصقة لإيران وشعبها مقاوم للأمريكيين.

يظهر ذلك في نصر الله لأن أجندته تفرض عليه هذا المنطق تجاه المقاومة الإسلامية في أفغانستان ، ليس لأنها تقاوم الأمريكان ، ولكن لأنها مقاومة سنية رافضة للتمدد الشيعي والإيراني ويلاحظ أن إيران

تمارس السياسة المبطنة بكل معانيها سواء في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية أو مع الدول العربية وخاصة الخليجية منها، ففي الوقت الذي يهاجم فيه أحمدي نجاد إسرائيل والولايات المتحدة يتوجه بزيارة للعراق وهو يعلم كل العلم إن السفير الأمريكي كروكر والقائد العسكري بتريوس هما اللذان يحكمان العراق ألا يدل ذلك على أن تنسيقاً واتفاقا جرى مع الطرفين قبل تحقيق تلك الزيارة؟، إذن كل ما يقال عن صراع أمريكي إيراني لم يحدث خلال السنوات الخمس الماضية بل على العكس سهلت الولايات المتحدة خلال احتلالها العراق التواجد الإيراني وأصبغت عليه الشرعية والدليل على ذلك المباحثات التي تجريها الولايات المتحدة مع إيران بشأن العراق، فمن الذي أعطى إيران الحق في تقرير مصير العراق؟.

إذا فهناك لعبة أمريكية إسرائيلية إيرانية لتحقيق مصالح مشتركة في المنطقة تنشر من خلالها إيران تشيعها في العالم العربي وتحقق منها الولايات المتحدة وإسرائيل أجندتها السياسية والمادية.(١)

---

١) عن مقال لحمادة شومان ـ بتصرف

ماذا تريد أمريكا من إيران ؟

أمريكا تريد من إيران عدة أمور، وإيران توافقها وتسايرها فيها لأنها توافق عندها رغبات وأحقاد دفينة، علي رأسها إضعاف العالم الإسلامي السني، وإفشال أسباب وحدة أبنائه وحتى حكوماته، فأمريكا

أفسحت المجال لإيران حتى تنشر الطائفية الدموية التي تنخر في كل بلد أفسحت أمريكا فيه المجال لإيران حتى تعبث فيه، مثل العراق وأفغانستان وباكستان ولبنان واليمن، فإيران لم تتدخل بنشر الطائفية التي تفرق الصف وتزكي الصراعات وتحرك الأحقاد إلا بمساعدة أمريكا التي تولت تحييد كل القوي القادرة علي التصدي للطائفية الإيرانية إما حرباً كما هي الحالة في العراق وأفغانستان، وإما ضغطاً كما هي الحالة في باقي الأمثلة المذكورة .

أمريكا أيضا تريد من إيران تفتيت العالم الإسلامي بتزكية الصراعات الدينية والمذهبية فيه، وتحريك الأقلية الشيعية في كل مكان بالثورة والاضطرابات والمناداة بالانفصال، كما حدث مع الحوثيين في اليمن وشيعة الجنوب العراقي،وشيعة القطيف والإحساء، وشيعة الهزارا الأفغانية، وشيعة لبنان، وهكذا نري أن أصابع إيران تعبث باستقرار ووحدة البلاد الإسلامية، وتساهم بأقصى جهد في تمرير مشروع أمريكا

الخاص بتفتيت العالم الإسلامي خاصة الكيانات الكبرى فيه مثل السعودية ومصر والسودان واليمن والبقية تأتي .

أمريكا أيضا تريد من إيران أن تقوم بدور عفريت الدول العربية والإسلامية خاصة في منطقة الخليج، لتبقي دول المنطقة أسيرة لدي الوجود الأمريكي في المنطقة، ويكون لدي حكومات هذه الدول المبرر اللائق لتواجد القوات الأمريكية بأحدث واقوي الأسلحة التي ترهق ميزانيات دول المنطقة، التي تدفع فاتورة الضيافة الأمريكية بأبهظ ما يكون من ثمن، وبالتالي يكون العفريت الإيراني وتهديداته المتواصلة للبحرين والإمارات وغيرها من دول المنطقة سبباً لنكبتين، الوجود الأمريكي بكل ما فيه من مفاسد ومنكرات، وإضعاف ماليات واقتصاديات الدول الإسلامية ولنضرب مثالاً نهديه إلي من يقولون أن أمريكا وإيران أعداء ،وإلي المطبلين للبطولات الإيرانية في التصدي للشيطان الأكبر، وإلي جوقة التطبيع الإيراني من مثقفينا من ذوي الأصوات المسموعة والأقلام المقروءة، فقد استضافت واشنطن مؤتمراً ترعاه منظمة شيعية مشبوهة مدعومة مباشرة من إيران، تسمي مركز الديمقراطية وحقوق الإنسان في السعودية تحت رياسة مطرود شيعي اسمه علي اليامي وحضره العديد الشخصيات المشبوهة أحمد صبحي منصور زعيم فرقة القرآنيين المنحرفة والفار إلي أمريكا منذ سنوات، والصحفي لي سميث

صاحب كتاب الحصان القوي : السلطة والسياسة صراع الحضارات العربية، وجاك بيرس المسئول السابق في وزارة العدل،فرزانة حسن مديرة الاتصالات في منظمة الكونجرس الكندي الإسلامي، وهي منظمة مشبوهة لا تضم في عضويتها سوي ٣٠٠ مسلم من أصل ثلاثة أرباع مليون مسلم بكندا، وتنادي بحظر الحجاب بين المسلمين بكندا .

هذه الزمرة المشبوهة اجتمعت لمناقشة موضوع خطر الفكر الوهابي الذي تتبناه المؤسسة الدينية الرسمية في السعودية علي العالم الحديث، قد عقدت فيه عدة حلقات بحث كان محورها الخطط العملية لإضعاف التطرف الديني السعودي، وفي بيان أصدره المؤتمر ندد فيه بالمملكة السعودية في تصدير أيديولوجيتها الوهابية المفزعة والقاتلة إلي كل ركن من أركان هذا الكوكب علي حد زعم واضعي البيان، مع توصيات خاصة لصانع القرار الأمريكي بخصوص التصدي للتطرف الديني السعودي، وكيفية التعامل مع المملكة السعودية بهذا الشأن .

وبعد نقول هل يحق لأحد أن يزعم أن إيران وأمريكا عدوان، وكلاهما يتحالف ويتعاون ويستضيف وينسق من أجل محاربة الإسلام ممثلاً في الفكر السلفي الذي يمثل أقصى تحديات الصمود للمشاريع الأمريكية والإيرانية في المنطقة،وهل أمريكا تنعي علي السعودية ما يسمي بتصدير الفكر المتطرف، تغض الطرف تماماً أمام الممارسات الإيرانية

التي لا تنقطع نحو تصدير مبادئ الثورة الخومينية، بل تدعمها وتؤيدها وتفسح لها الطريق، لما فيها من خراب عاجل للأمة الإسلامية، بل تغض الطرف نحو العربدة الإيرانية والتدخل السافر في شئون البلاد العربية بلا أدني اعتراض أو حتى شجب من الطراز العربي .

هذه المؤتمرات وغيرها كثير ما هي إلا صورة من صور التعاون الوثيق بين أمريكا وإيران ضد العالم الإسلامي عامة والسعودية خاصة، (١)خصم إيران التاريخي والديني والسياسي والعقبة الكؤود أمام إقامة دولة إيران الكبرى في المنطقة .

---

١) من مقال لشريف عبد العزيز- مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية